• فصل تمهيدى

• ملامح السياسة الخارجية الأميريكية
تجاه الشرق الأوسط ومصر بصفة خاصة
حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية

ملامح السياسة الخارجية الأميريكية تجاه الشرق الأوسط ومصر بصفة خاصة حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية

يمكننا أن نحدد عام ١٨٣٢ كبداية للسياسة الخارجية الأميريكية نحو الشرق الأوسط ، فقبل هذا التاريخ ، لم يكن من الممكن تبين أى ملامح فى مجال السياسة الخارجية الأميريكية نحو الشرق الأوسط لإنشغال الولايات المتحدة بمشاكلها الخاصة من ناحية ، ولتثبيت قواعد علاقاتها بأوروبا من ناحية أخرى ، هذا بالإضافة إلى أن المصالح الأميريكية فى الشرق الأوسط ، لم تكن لتخلق هذا التاريخ اهتماما خاصاً بالمنطقة لدى الساسة الأميريكيين (١).

والواقع أنه من المتعذر الفصل فى هذه المرحلة التاريخية ، وهى تمتد من العقد الثالث للقرن التاسع عشر (١٨٣٢) حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥) بين ما يمكن أن نسميه سياسة أميريكية نحو الشرق الأوسط وبين سياسة أميريكية خاصة بمصر . والقول أن إرهاصات الاهتمامات الأميريكية فى الشرق الأوسط بصفة عامة ومصر خاصة بدأت عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور الولايات المتحدة كأحدى القوتين العظميين قول صحيح إلى حد ما ولكنها لم تعمق جذورها وتصبح واضحة المعالم إلا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ وفى عهد الإدارة الأولى للرئيس دوايت ايزنهاور بين عام ١٩٥٣ - ١٩٥٦.

واستقراء حركة السياسة الخارجية الأميريكية تجاه الشرق الأوسط ومصر يجعلنا نستنتج أنها لم تبدأ بصفة نشطة إلا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ويرجع هذا التأخر فى اضطلاع الولايات المتحدة بدورها إلى أنها لم تصبح قوة عالمية كبرى مؤثرة فى أحداث العالم والشرق الأوسط إلا بعد الحرب العالمية الثانية ، هذا بالاضافة إلى أنها قبل الحرب العالمية الثانية بشكل عام ، اتبعت سياسة وصفت بالانعزالية عن العالم خارج نصف الكرة الغربى ، فضلا عن أن العالم العربى ، كان فى معظمه خاضعا لحكم استعمارى يتجسد فى السيطرة البريطانية والفرنسية.

كانت كل المعاملات الرسمية الخاصة بالمنطقة سواء كانت سياسية أو ثقافية أو أقتصادية خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وحتى إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى تتم إما فى القسطنطينية حتى عام ١٩١٨ أو فى لندن وباريس حتى نهاية الحرب العالمية الثانية بل وحتى بعد ذلك فى حالات كثيرة. (٢) .

---

(١) حول تطور السياسة الأميريكية فى الوطن العربى ، أنظر بكر مصباح تنيره . التطور الاستراتيجى للسياسة الأميريكية فى الوطن العربى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط٢ ١٩٨٥ ص١٠٠ - ١٠٥ . (ضمن مجموعة مقالات باسم السياسة الأميريكية والعرب)، سلسلة كتب المستقبل العربى رقم ٢.

(٢) Stevens, Georgiana, (ed.) The United States and the Middle East, Englewood Cliffs, (N.D. Prentice Hall, Inc., 1964) P. 1

وبرغم ذلك فإن الصلات الثقافية والتعليمية الأميريكية وتاثيرها على العالم العربي لم تنقطع [١] فالبعثات التبشيرية الأميريكية قبل الحرب العالمية الثانية كانت تفتتح وبشكل مضطرد مدارسها فى مختلف أنحاء سوريا ومصر ، ففى سوريا جاءت ذروة عملها التعليمى عام ١٨٦٦ حين أسست الكلية السورية البروتستانتينية التى أصبحت الجامعة الأميريكية فيما بعد . وقد كتب جورج انطونيوس «أنه عندما تقدر اسهامات الكلية البروتستانتية السورية فى نشر المعرفة والتأثير الذى أحدثته فى الآداب والفنون والعلوم ، وما حققه خريجوها ، فإن الانصاف يقتضى القول أن تأثيرها على النهضة العربية ولاسيما فى مراحلها الأولى كان يفوق أى مؤسسة أخرى» [٢] .

وقد كانت مطابع البعثات التبشيرية البروتستانية الأميريكية هى الثانية بعد المحاولة الأولى التى أدخلها بونابرت فى مصر خلال حملته الفرنسية على الشرق فى فجر القرن التاسع عشر ١٧٩٨ بإستقدام أول مطبعة حديثة إلى العالم العربى، فقد انتقلت مطبعة البعثة الأميريكية من مالطا إلى بيروت عام ١٨٣٥ ، وكما يرى «فيليب حتى» فهذه المطبعة كانت أبرز المطابع باللغة العربية فى غرب اسيا [٣] .

ولم يكن التأثير الثقافى الأميريكى فى مصر خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر بأقل منه فى سوريا ، فقداسست العديد من المدارس الأميريكية تحت رعاية الهيئة الأميريكية للبعثات التبشيرية American Board of Missions ، وقد أفتتحت أولى هذه المدارس الأميريكية فى القاهرة عام ١٨٥٥ . وخلال السنوات العشر التالية تبعتها مدارس أخرى فى الاسكندرية والفيوم وقوص والمنصورة ، وبحلول عام ١٨٨١ لم يكن فى مصر أقل من ٢٨ مدرسة تعمل تحت رعاية الهيئة الأميريكية ، وكانت كلها مجانية وأهتمت بالحركة الثقافية والعملية التعليمية ، كما أسست الجامعة الأميريكية فى القاهرة بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة ١٩١٩ [٤] .

لكن البدايات الأولى للعلاقات الأميريكية مع مصر تعود إلى ما قبل دخول النشاط الثقافى والتعليمى الأميريكى فى مصر ، فلقد كان للولايات المتحدة صلات بمصر من خلال تجارتها مع الامبراطورية العثمانية تعود إلى عام ١٧٨٥ [٥] .

ومن الجدير بالذكر أن محمد على استعان بمجوعة من الخبراء من الولايات المتحدة الأميريكية وذلك فى مجال الزراعة وخاصة عندما أدخل زراعة القطن طويل التيلة ، كما جلب محمد على عام ١٨٢٨ الأرز من الولايات المتحدة وفى أواخر عام ١٨٣٤ كان للولايات المتحدة فى البلاد التى يحكمها محمد على وكالات فى الأسكندرية والقاهرة ودمياط فى القطر المصرى وبالقدس ويافا وعكا فى فلسطين بصيدا وبيروت وطرابلس واللاذقية والروضة وحلب فى سوريا [٦].

1- Antonius, George, The Arab Awakening, (London, Hamish Hamilton 1961) pp. 42-43

2- Ibid P. 43.

3- Hitti, philip, History of the Arabs, (new York, McMillan, Co., 1951) pp. 745-47.

4- McCoon. J.C, Egypt as it is, New York, Dodd, Mead & Co. 1882) pp. 222-223.

5- Leland, J. Gordon, American Relations with Turkey, (philadephia University of pennsylvania press) 1932, pp 8, 41-44.

(٦) أحمد أحمد الحته : العلاقات الاقتصادية بين مصر والولايات المتحدة الأميريكية فى القرن التاسع عشر ، مجلة الاقتصاد والتجارة للبحوث العلمية مارس ١٩٥٣ العدد الأول السنة الأولى مطبعة جامعة فؤاد الأول القاهرة ١٩٥٣ ص٦٠. وعندما اتسعت الأقاليم التى يحكمها محمد علي دعا رئيس الولايات المتحدة إلى تعيين وليام ب هودجسون Willion B. Hodgson المترجم بالسفارة الأميريكية فى القسطنطينية مندوبا خاص فى مصر لإقامة علاقات تجارية مع محمد على منفصلة عن العلاقات مع الباب العالى وقد بدأت مهمة هودجسون عام ١٨٣٣ بعد أن تلقي من وزير الخارجية الأميريكية تعليمات مفصلة عن بعثته، وقد وصل الاسكندرية في ٢٤ أغسطس ١٨٣٤ قادما من القسطنطينية في ٧ يوليو من نفس العام ، وقد رحب محمد على بمهمة هودجسون وأتاح له زيارة أهم المراكز الصناعية في القطر وقد وصل «هودجسون» إلي واشنطن وقدم تقريره إلي وزير الخارجية فى ٢ مارس ١٨٣٥ وشرح الأوضاع الاقتصادية فى مصر وأوضاع القناصل وافضل الوسائل لإقامة علاقات تجارية بين مصر والولايات المتحدة وقد اقترح =

كما أن نظام الامتيازات فى الامبراطورية العثمانية امتد إلى الولايات المتحدة على أساس الدولة الأولى بالرعاية عام ١٨٣٠. والواقع أنه بعد قيام الجمهورية الاميريكية فقد أوفدت وزارة الخارجية الأميركية عدداً من العملاء السريين إلى تركيا لاستكشاف امكانيات عقد اتفاقية تجارية مع تركيا [١] حتى تمكنت من عقد إتفاقية فى ٧ مايو ١٨٣٠ حصلت الولايات المتحدة بموجبها على شروط الدولة الأولى بالرعاية فى أرجاء الامبراطورية العثمانية ومن بينها مصر مثل حق إنشاء القنصليات والمرور فى البحر الأسود، المشاركة فى مزايا نظام الامتيازات، ثم سمحت الإمبراطورية العثمانية للولايات المتحدة بإنشاء وكالة قنصلية لها فى مصر فى ١٢ يناير ١٨٣٢ عين وكيلها الممثل الأميريكى فى القسطنطينية وكان تاجرا إنجليزيا هو جون جليدون John Gliddon كوكيل قنصلى للولايات المتحدة بمدينة الأسكندرية، وقد واجه منافسة عنيفة من القنصلين البريطانى والفرنسى[٢] ثم رفعت الوكالة القنصلية إلى مرتبة القنصلية الكاملة عام ١٨٣٥ [٣].

وبعدوفاته عام ١٨٤٤، حل محله اسكندرتود Alexander Todd، وفى ٢٤ فبراير ١٨٤٩ وصل دانيل ماكولى Daniel S. Macauley أول قنصل عام للولايات المتحدة فى مصر [٤]. وقد تعدد قناصل الولايات المتحدة منذ هذا التاريخ [٥] وقد بذلوا جهودا لابأس بها لتنمية العلاقات التجارية بين البلدين، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة حتى عام ١٨٥٣ظلت دون سفينة تجارية واحدة فى السنة بين السفن التى تدخل الأسكندرية وتغادرها، ويتضح لنا ذلك من الرسالة التى أرسلها ريتشارد جونز Richard Jones القنصل العام الأميريكى فى مصر إلى وزير خارجية بلاده [٦].

وفى عام ١٨٧٣ أعلن بيردزلى Beardsley القنصل العام الأميريكى فى مصر فى رسالة إلى وزير الخارجية وجود إمكانيات لتوسيع التبادل التجارى بين مصر والولايات المتحدة [٧].

=«هودجسون» ضرورة تعيين قنصل عام للولايات المتحدة فى الأسكندرية - انظر أحمد الحته - نفس المرجع ص٧٢ - وأنظر أيضا :

Special Missions Instructions, Vol I inst no. 1 to W.B. Hodgson, October 10, 1830.

وكذلك Diplomatic Despatches, Turkey فى وثائق وزارة الخارجية الأميريكية 1830-1906 المنشورة، خاصة رسالة هودجسون فى ٢ مارس ١٨٣٥ ولا تحمل رقما خاصا.

1- Wright, L.C., United States Policy toward Egypt. (1830 - 1914) p.13.

اطروحه دكتوراه غير منشورة (١٩٥٣) - مكتبة جامعة كولومبيا - نيويورك.

2- Ibid, pp. 20-22.

3- Ibid, idem.

(٤) أحمد الحته ، المرجع السابق ص ٧٠.

(٥) حول الأنشطة القنصلية فى مصر منذ البدايات الأولى (١٨٣٥) انظر :

Serpell, David, R. "American Consular activites in Egypt 1849-1863, Journal of Modern History, (September 1939). no 3. pp. 244-45".

وخاصة انشطة القنصل ماكولي McCauley وادوين دي ليون Edwin de leon. Ibid pp. 356 - 63.

6- American Archives from the U.S. Consul General, Alexandria 1-6-1853, Richard Jones, Consular Despatches, Egypt, 1835 - 1906.

7- Ibid 30-4-1873.

(٧) وكان نمو التجارة بين البلدين يزداد ببطء لكن التجارة اضمحلت نتيجة نشوب الحرب الأهلية ، ولكن يعزى عدم رواج التجارة المباشرة بين مصر والولايات المتحدة فى القرن التاسع عشر إلى سببين هما (تشابه الحاصلات الأساسية بينهما (القطن - الحبوب - السكر) وعدم وجود مواصلات مباشرة ومنظمة بينهما - انظر : أحمد الحته المرجع السابق ص٧٢ - ٨ ، وأنظر كذلك Wright, L.C. op. Cit. pp. 55, 159. حول تأثير الحرب الأهلية الأميريكية (منذ ١٨٦١) على نمو التجارة بين مصر والولايات المتحدة.

وقد ساهمت الولايات المتحدة فى إنشاء نظام المحاكم المختلطة فى مصر عام ١٨٧٥، وقد حصلت على مقعد فى محكمة الإستئناف عام ١٨٧٦ (١) كما توجه لمصر عدد غير قليل من المبشرين الأميريكيين الذين بدأ وصولهم إلى مصر منذ عام ١٨٥٤ وبحلول عام ١٨٧٩ كان عددهم قد بلغ ٣٢ مبشرا (٢).

ومن الصلات الأميريكية المعروفة بمصر فى ذلك الوقت استخدام أكثر من خمسين ضابط أميريكى معظمهم من قدامى المحاربين فى الجيش الكونفدرالى الأميريكى فى خدمة الخديو إسماعيل وخلفائه من بعده(٣).

ومن التطورات التى حدثت خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأسفرت عن نوع من التوتر في العلاقات بين البلدين إيفاد والى مصر سعيد باشا لألف ومائتين من الأفراد السودانيين فى القوات المصرية إلى الإمبراطورية الفرنسية عام ١٨٦٢ لاستخدامهم فى القتال فى المكسيك(٤).

وعلى ذلك يمكن القول أنه لم يكن للولايات المتحدة نشاط كبير فى مصر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، فقد اقتصرت أساسا على المبادرات الفردية فى المجالات التجارية والتعليمية والدينية والخيرية وكانت مهمة ممثل وزارة الخارجية هى أساسا حماية المصالح الخاصة من مؤسسات خيرية وطبية وتعليمية أميريكية فى مصر(٥).

لقد كان الدور الأميريكى فى مصر خلال هذه الفترة محدودا لدرجة أن أول ممثل للولايات المتحدة كان من جنسية بريطانية ولم يتول مواطن أميريكى منصب القنصل العام إلا عام ١٨٤٨. وفي حفل الافتتاح لقناة السويس ١٨٦٩ كانت الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة التى لم يكن لها تمثيل رسمى وكان استخدام الولايات المتحدة للقناة فيما بعد يمثل جزء محدودا من العبور الكلى فى القناة، بل أن عدم توقيع الولايات المتحدة على اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨ التى أنشأت المكانة الدولية للقناة، إنما يدل على الدور المحدود الذي كانت القناة تلعبه فى السياسة الخارجية الاميريكية فى ذلك الوقت (٦).

1- Ibid pp. 99 - 108.

2- Ibid pp. 162-164.

(٣) من الضباط الأميريكيين الذين استخدمهم الخديوي إسماعيل الكولونيل ستون Stone وهو ضابط أميريكى على جانب كبير من الكفاءة والخبرة، غادر الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الأهلية وعرض على الخديو إسماعيل خدماته فألحقه بالجيش وعهد إليه ١٨٧٠ برئاسة هيئة اركان حرب الجيش المصرى وأنعم عليه برتبة اللواء فصار يعرف بالجنرال استون باشا - انظرعبد الرحمن الرافعى عصر إسماعيل، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة، ١٩٤٨ جـ١ ط ٢ص ١٨٠ وانظر ايضا Crabites, Pierre, Americans in the Egyptian Army (London, George Rout ledge & Sons Ltd) 1938.

4- Wright, op. cit. pp. 58-61.

(٤) كانت المكسيك جمهورية تتخللها الفتن والثورات وكان يتولى رئاستها ١٨٦١ مسيو جواريز Juarez فقامت الفتن ضده بهدف اسقاطه وانتزاع السلطة من يده، وقد صادفت هذه الحركة هوى فى نفس الامبراطور نابليون الثالث فاراد ان يعضدها وتذرع بما لحق الرعايا الأوربيين من الحرب الأهلية من مضار وطالب الحكومة المكسيكية بتعويض الخسائر فلما رفضت الب عليها إنجلترا واسبانيا إلا ان هاتين الدولتين نفضتا أيديهما عن المسألة ولكن نابليون الثالث جرد حملة على المكسيك استنجد خلالها بصديقه سعيد الذى امده بكتيبة من الجنود السودانيين عددهم ١٢٠٠ مقاتل يقودهم البكباشى جبرة الله محمد السودانى والصاغ محمد أفندى الماس، ولكن رغم البلاء الحسن للقوة المصرية إلا ان الغلبة كانت لثوار المكسيك وقد فنى معظم رجال الحملة المصرية وبقى منهم عدد قليل عادوا إلى مصر فى عهد الخديو إسماعيل - انظر عبد الرحمن الرافعى عصر إسماعيل - المرجع السابق ص٣٨ - ٣٩.

5- Meyer, Gail, E. Egypt and the United States, The Formative Years, (Associated University Presses, N.J.) 1980 p.35.

انظر كذلك United States foregin Relations 1937, 1954, vol II pp. 660-662 وتحتوى على قائمة بهذه المؤسسات

(٦) انظر عن حركة عبور السفن الأميريكية فى قناة السويس من ١٨٨٣ حتى ١٩١٣ فى :

Wilson, A.T. The Suez Canal its past, present and future 2 nd edition (London 1939, Oxford University Press). pp. 135-136.

وخلال الحرب العالمية الأولي كان رد الفعل الأميريكى للمطالب الوطنية المصرية التى كانت تدعو لإيفاد وفد الى مؤتمر باريس للسلام لطرح قضية مصر من أجل الاستقلال متمثلا فى إصدار بيان يتسم بالحذر من القنصل الأميريكى فى القاهرة إلى المندوب السامى البريطانى فى مصر فى الثانى والعشرين من ابريل ١٩١٩ يقول فيه: إننى بهذه المناسبة أود القول أن الرئيس والشعب الأميريكى يكن كل العطف للآمال المشروعة للشعب المصرى من أجل قدر أكبر من الحكم الذاتى لكنهما يأسفان لأى محاولة لتحقيق هذه الآمال باللجوء إلى العنف(١).

وكانت آمال المصريين الوطنيين شأنهم شأن آمال العرب تتوقع مساندة الولايات المتحدة التي تخلت مؤقتا عن الموقف الانعزالى ولكن سرعان ما تلاشت الآمال المعلقة على النقاط الأربعة عشرة التى أعلنها الرئيس الأميريكى وودرو ويلسون (٢) Woodrow Wilson فى يناير ١٩١٨ وعادت الولايات المتحدة إلى السياسة الانغرالية أو عدم التدخل التى اعتبرت مصر بموجبها جزء من الامبراطورية البريطانية، وفى أعقاب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعطى مصر استقلالا منقوصا اعترفت الولايات المتحدة بالحكومة الجديدة بشرط الحفاظ على حقوقها الموجودة فى مصر من قبل ورفع تمثيل الولايات المتحدة إلى مفوضية(٣).

وفيما عدا ذلك ظلت الولايات المتحدة حريصة على عدم التدخل خلال فترة ما بين الحربين فيما تعتبره الشئون الداخلية البريطانية فالسياسة الانعزالية ما بين الحربين حددت من أى اتصالات ذات معنى مع الشعب المصرى وشعوب المنطقة بوجه عام (٤).

وبشكل عام فقد ظلت المصالح الأميريكية فى أساسها فى مصر ثقافية بمدارسها التبشيرية وبالجامعة الأميريكية فى القاهرة وبعض بعثات التنقيب عن الآثار، إلا أنه مع الاستقلال الاسمى لمصر عام ١٩٢٢ طلب مؤيدو الأنشطة التبشيرية فى الولايات المتحدة من الخارجية الأميريكية وضع ضمانات قانونية لحماية انشطتهم وقد استجابت الخارجية الاميريكية لطلباتهم من خلال التعاون مع وزارة الخارجية البريطانية. ورغم تعاظم الشعور الوطنى فى مصر خلال سنى ما بين الحربين فإن المصالح الأميريكية لم تستشعر مدى قوة هذا الشعور الوطنى وظل الممثلون الدبلوماسيون الأميريكيون بعيدين عن الجهود المصرية لتخليص مصر من الاستعمار البريطانى وكان جل اهتمامهم حماية المصالح الاميريكية، وفى عام ١٩٣٧ وافقت الولايات المتحدة على الاشتراك مع الدول الأوربية التى اجتمعت فى مؤتمر «مونترو» على الغاء حقوق الامتيازات فى مصر (٥).

1- U.S.F.R, 1919 Vol II, U. S. govt. Washington 1934. p. 204.

وانظر ٥٠ عام على ثورة ١٩١٩ : نشر مؤسسة الأهرام مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة . بدون تاريخ ص٤٠٧ حول استجابة الولايات المتحدة لطلب بريطانيا الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر وقد ورد نص طلب الاعتراف فى الوثيقة المرقمة تحت (٣٥) فى ملحق الوثائق من برقية اللنبى إلى كيرزون فى ٢٦ مارس ١٩١٩ بنفس المصدر .

2- Polk, R. William, The United States and the Arab World 3 rd ed. (Harvard University Press) 1975 p. 364.

Denovo, A. John, American Interests and policies in the Middle East. (1900- 1939, the University of Minnesota Press) p. 366-367.

وانظر ايضا ٥٠ عام على ثورة ١٩١٩ ـ المرجع السابق ص٤٠٨.

3- Meyer, op. cit. p. 36.

(٤) حول الملامح الرئيسية للسياسة الأميريكية فى البلاد العربية بين الحربين التى دارت حول النشاط الثقافى والاقتصادى فى مجال الاستثمارات النفطية ثم بداية الاهتمام بقضية فلسطين ، انظر : خيرية قاسمية تحت عنوان «الولايات المتحدة والوطن العربى فى الفترة ما بين الحربين» الفصل الأول من مجموعة مقالات باسم السياسة الأميريكية والعرب «مرجع سابق» ص ١٥-٣٦.

5- Bryson, Thomas, A, American Diplomatic Relations with the Middle East, 1784-1975, A Survey (The Scarecrow Press inc.) Metuchen N.J., 1977) p. 110.

وقد ظلت اهتمامات السياسة الخارجية الأميريكية نحو مصر قبل الحرب العالمية الثانية ذات طبيعة ثانوية تعكس المستوى المنخفض للعلاقات بين البلدين، وكان مرد ذلك إلى السيطرة البريطانية فى مصر حتى أواخر الثلاثينات وكان هذا الوضع مقبولا كعامل ثابت فى السياسة الخارجية الأميريكية فقد أيدت الحكومة الأميريكية اتفاقية ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا.

على ان عام ١٩٣٧ كان يمثل نقطة تحول بالنسبة للسياسة الخارجية الأميريكية نحو مصر حيث اتجهت بشكل واضح للتنافس مع بريطانيا حين بدأت عملية بطيئة وغير مباشرة بتكوين صلات أوثق مع القاهرة بقصد ابراز وتقديم صورة طيبة للولايات المتحدة بالدعوة لالغاء سياسة الامتيازات وانتهاج سياسة المساواة دون أن تمر بالطريق البريطانى بهدف دفع مصر للتعامل المباشر مع الولايات المتحدة والواردات الأميريكية. ويمكن أن نميز ملامح السياسة الأميريكية نحو الشرق الأوسط عامة ومصر بصفة خاصة بثلاثة ملامح رئيسية هى: سياسة الباب المفتوح، ومبدأ حسن الجوار ومحاولة تقليص النفوذ التقليدى لكل من بريطانيا وفرنسا فى العالم العربى (١) .

الا أن المشاركة الأميريكية المباشرة فى المسائل المصرية أو فى العمل السياسى داخل مصر قد اكتسبت شكلا أوضح بنشوب الحرب العالمية الثانية، ومع ان مصر كانت تعتبر حتى ذلك الوقت من مناطق النفوذ البريطانى فى المقام الأول فإن الحرب ضد المحور أقحم الولايات المتحدة فى خضم أحداث المنطقة للمرة الأولى فانشأت قاعدية جوية أميريكية بالقرب من القاهرة (٢) وأصبحت العاصمة المصرية مركزا لعمليات التأجير والاعـــارة Lend Lease ولانشطة المخابرات والدعاية فى المنطقة ثم تولت الولايات المتحدة عام ١٩٤٢ مسئولية مشتركة مع بريطانيا عن مركز إمداد وتموين الشرق الأوسط Middle East Supply center (٣) وأنشأت فى القاهرة قيادات عسكرية أميريكية عرفت باسم قوات جيش الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط عام ١٩٤٢ بهدف السيطرة والتنسيق لأنشطة الجيش الأميريكى فى المنطقة ولتركيز التعامل مع القوات البريطانية فى الشرق الأوســط (٤). كما أنشئت فى مـــصر خدمة مباشـرة لنقل الصور بالراديو بين الولايات المتحدة ومصر لأول مرة عام ١٩٤٢ (٥) .

وخلال الحرب العالمية الثانية تاكدت الأهمية الحيوية لمسرح البحر المتوسط وقناة السويس وجعلت مصر ركيزة الدفاع البريطانى بإنشاء مقر القيادة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط فى القاهرة وإنشاء قواعد عسكرية فى مصر وانشاء منصب سفير إقليمى (وزير دولة بريطانى لشؤون الشرق الأوسط) يمثل الوجود والسلطة البريطانيين المتزايدين فى الشرق الأوسط، ولم تعلن مصر الحرب الا فى فبراير ١٩٤٥ بعد مؤتمر يالتا وبعد توقيع اتفاقية منفصلة مع الولايات المتحدة فى يناير ١٩٤٥ حول الاعارة والتأجير (٦) .

1- Baram, Philip, The Department of State, in the Middle East, 1914-1945 (University of Pennyslvania Press, 1978) pp. 182-119.

2- Hurewitz, J. The Middle East Dilemmas, The Background of the United States Policy N.Y. Harper & Brothers, 1953 p. 80

3- Ibid, idem.

4- Motter, Vail, T.H., The United States Army in the world war II, The Middle East theatre, The persian Corridor aid to Russia (Washington, Dept. of the Army, 1952) p. 90.

5- Department of State Bulletin, VI may 16, 1942 p. 439.

6- Baram, philip., op. cit. pp. 183-185.

Bryson, op. cit., p. 129.

وقد اتجهت السياسة الخارجية الأميريكية فيما بين ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ إلي تركيز الوجود العسكرى والسياسى والاقتصادى فى مصر وذلك أثناء مواجهة بريطانيا للمحور غربى الأسكندرية، وكان منطق الخارجية الأميريكية يقوم على أساس رؤيتها أن مصر هى مركز العالم العربى ومرتكزا لمسرح البحر المتوسط، كما رأت الخارجية الاميريكية أن الوجود الأميريكى ضرورى لتنسيق المصالح الاقتصادية النامية المرتبطة بالحرب (القيادة الاستراتيجية للشرق الأوسط والبعثات الأميريكية فى مصر والخليج الفارسى والموارد الحيوية للنفط العربى) كما أن تمركز القوات الجوية الأميريكيةالتاسعة Ninth air force وكميات كبيرة من الدبابات الأميريكية من طراز شيرمان Sherman فى مصر كان دافعا قويا لأهتمام الخارجية الاميريكية بمصر مما دفعها إلى إنشاء تمثيل عسكرى خاص فى مصر على غرار «وزارة الدولة للشرق الأوسط» التى أقامتها بريطانيا فى مصر. وقد كانت أهداف السياسة الأميريكية خلال الحرب هى أولا وقف تقدم دول المحور، وثانيا إبراز القوة الأميريكية أمام العرب، وثالثا الحلول محل الوجود العسكرى البريطانى[١] وبشكل غير ملفت للنظر، وكان منطق الخارجية الأميريكية أن الوجود العسكرى والسياسى الأميريكى من شأنه خلق الشروط اللازمة للسيطرة الاقتصادية فى نهاية الأمر[٢].

وكانت وزارة الخارجية الاميريكية تحبذ وجوداً اميريكا قويا فى مصر واقترحت ايفاد بعثة خاصة للشرق الأوسط برئاسة اللفتنانت كولونيل «هوسكينز» Hoskins بهدف اجراء مسح اقتصادى ولمواجهة دعاية المحور، كما كان الهدف أيضا إجراء اتصال شخصى مع القادة المحليين والمؤثرين، والترويج للدعاية الأميريكية من خلال مقر القيادة فى القاهرة وكان[٣] كيرك KirK * متحمسا لهذا الدور، فطوال عام ١٩٤٢ ظل يحث الحكومة المصرية على إيفاد وفد تجارى عال إلى واشنطن وكان فى برقياته يعرب عن الارتياح لوجود مصالح أميريكية عسكرية واقتصادية فى مصر، كما أشار «كيرك» إلى أن الصحافة المصرية مواليه للأميريكين وأنها تأمل أن تؤدى اميريكا دورا هاما كما ازداد توثق الصلات بين الولايات المتحدة ومصر فى نهاية عام ١٩٤٢ حيث أمكن تنفيذ الاعارة والتأجير عن طريق بريطانيا عندما افتتح السلاح الجوى الأميريكى التاسع بالقرب من القاهرة واحدا من أكبر المطارات العسكرية فى العالم خارج الولايات المتحدة

وبشكل عام فإن العلاقات مع مصر خلال الحرب على نحو ما خططت لها ونفذتها الخارجية الأميريكية كانت تنمو تدريجيا، ولكن يلاحظ أن أهداف السياسة الأميريكية نحو مصر لم تكن واضحة. بل أن التخطيط الأميريكى سياسيا واقتصاديا وعسكريا تجاه مصر كان يوحى بعدم احداث تغيير فى وضع مصر او قناة السويس[٤].

كما يمكننا أن نميز فى تلك الفترة اتجاهين فى وزارة الخارجية الأميريكية بالنسبة للسياسة الأميريكية تجاه مصر، الأتجاه الأول هو تلاؤم المصلحة الأميريكية مع الوجود البريطانى فى مصر، أما الاتجاه الثانى فهو أن يحل الوجود الأميريكى تدريجيا محل الوجود البريطانى، وإن كان النصر يبدو واضحا للاتجاه الثانى بعد الحرب العالمية الثانية.

1- Ibid p. 188.

2- Memorandum for overall american political representative in the near East assisted by high ranking officer, may 8, 1942 U.S.F.R. Vol IV 1942 p. 76.

3- Baram, Philip, op. cit p. 188.

4- Ibid, idem.

* كان «كيرك» يشغل منصب الوزير المفوض الأميريكى فى مصر فى ذلك التاريخ.

وازاء احتمالات إنتصار دول المحور فى مطلع عام ١٩٤٢ فى الشرق الأوسط أصدر البريطانيون إنذارا للملك فاروق، أيده الدبلوماسى الأميريكى فى مصر لتعيين النحاس باشا رئيسا للوزراء (٤ فبراير ١٩٤٢)[١] ولكن سبب وقوع حادث اربعة فبراير ١٩٤٢ فى اثارة جدل كبير بين صناع السياسة الاميريكيين، فبعض المسؤولين من الخارجية الأميريكية راوا ضرورة الأعتراض على المسلك البريطانى، بينما كانت هناك مجموعة أخرى بزعامة كيل وزارة الخارجية الاميريكية سامنار ويلز Sumanner Wells ترى ضرورة تأييد البريطانيين فى مسلكهم.

كما كان موقف الخارجية الأميريكية تجاه مركز إمدادات وتموين الشرق الأوسط مختلفا عن الموقف البريطانى، فقد كانت تعارض استمرار هذا المركز الذى اعتبرته بمثابة وكالة بريطانية لتنفيذ السياسات الاقتصادية فى الشرق الأوسط. وكانت هذه الوكالة الملحقة بقيادة الشرق الأوسط البريطانية توجه اقتصاديات الشرق الأوسط لخدمة قوات الحلفاء.

وقد انضمت الولايات المتحدة ـ كما سبق القول ـ للقيادة الاستراتيجية للشرق الأوسط عام ١٩٤٢ وساعدت المجهود البريطانى على مستوى التنسيق الإقليمى إلا أنه فى الأيام الأخيرة من الحرب، بدأ الأميريكيون المهتمون بأسواق الشرق الأوسط الضغط على واشنطن لإغلاق القيادة الاستراتيجية فى الشرق الأوسط لنظرتهم إلى القيادة كأداه بريطانية للأحتفاظ بالسيطرة الاقتصادية فى المنطقة [٢] ، وكانت المصالح الأميريكية تتطلب العودة لسياسة الباب المفتوح حيث أن القيادة كانت تفرض قيودا على الواردات ونظرا لحساسية صناع السياسة الأميريكية للأهداف الأقتصادية الأميريكية بعد الحرب وافقت الولايات المتحدة على الانسحاب من القيادة [٣] .

وخلاصة القول أن روح التنافس مع بريطانيا كانت عاملا محركا وراء السياسة الخارجية الأميريكية تجاه مصر خلال الحرب ، فحين بدا البريطانيون أقوياء ، كانت الخارجية الأميريكية تقبل لنفسها دورا ثانويا أما حين انتاب الضعف البريطانيين سياسيا وعسكريا ما بين عام ٣٧ – ١٩٤٢، رأت الخارجية الأميريكية الفرصة سانحة لتوسع نفوذها . لقد كان النفوذ والقوة والأسواق تمثل أهداف السياسة الأميريكية غير المعلنة إلا أنه لم يكن يوجه لمصر ـ حتى ذلك الوقت ـ على مستوى تخطيط السياسة الخارجية الأميريكية قدر كبير من الأهتمام الخاص بها [٤] ، وإن كان إسهام الولايات المتحدة فى أمور الشرق الأوسط لم يتوقف بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية.

---

(١) كان تقدم دول المحور فى شمال افريقيا سببا فى خشبة بريطانيا من الجماهير المصرية فارادت أن تضمن حكومة موالية لها ، وفى نفس الوقت ترضى عنها الجماهير المصرية ومن ثم وجهت انذارا للملك فاروق بتكليف مصطفى النحاس زعيم حزب الاغلبية ليتولى الحكم وعندما تباطأ الملك فى تنفيذ الانذار البريطانى حاصرت الدبابات الانجليزية قصر عابدين مما أجبر فاروق على تكليف حزب الوفد لتشكيل هذه الوزارة التى تعرف فى التاريخ المعاصر باسم وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ . انظر محمود متولى . حادث ٤ فبراير فى التاريخ المصرى المعاصر ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨ ص٣٦.

(٢) حول التنافس الاقتصادي الأميريكى البريطانى خلال الحرب العالمية الثانية واختلاف النظرتين الأميريكية والبريطانية إلى مركز تموين الشرق الأوسط . انظر رؤوف عباس : امريكا والشرق العربى فى الحرب العالمية الثانية ، مجموعة مقالات السياسة الأميريكية والعرب مرجع سابق ، ص ٣٧-٤٨.

3- Bryson, op. cit. p. 219.

4- Ibidpp. 198-199.

وانظر كذلك

Dept. of state Bulletin Vol XV October 20, 1946, p. 727.

انظر

Ibid. Vol XIV June 23, 1946 p. 1088 .

ومما لاشك فيه أن إطارا جديدا ومحتوى جديدا للإتجاهات السياسة الأميريكية نحو مصر كان يتبلور فى سياق نمط جديد من العلاقات الدولية للولايات المتحدة مع القوى العالمية الأخرى بعد الحرب ومع دول الشرق الأوسط بصفة خاصة حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.

فى ختام هذا الفصل ، نود توضيح ثلاثة مواقف أساسية فى السياسة الخارجية الأميريكية تجاه الشرق الأوسط عامة وتجاه مصر بصفة خاصة ، إن الاتجاهات الأميريكية المنحازة للاستيطان اليهودى فى فلسطين من خلال ما كان يصدر من تصريحات وبيانات أميريكية حول تأييد الهجرة اليهودية أو السماح بها إلى أرض فلسطين لم تكن موضع رضى أو قبول من الرأى العام المصرى . الموقف الثانى أن مصر كانت تأمل كثيرا فى أن تقف السياسة الأميريكية موقف المؤيد من الأمانى الوطنية العادلة لها فى جلاء القوات البريطانية عن مصر * لأن مصر كانت تنظر حتى ذلك الوقت إلى الولايات المتحدة على أنها قوة تحررية لاتسعى للسيطرة أو الاستعمار، وقد شعرت مصر بأن الولايات المتحدة تشجع قيام الجامعة العربية من منطلق أنها قد تكون سبيلا لضعف السيطرة والنفوذ البريطانى الفرنسى على العالم العربى ولذلك كانت مصر تشعر بالارتياح لتأييد الولايات المتحدة لفكرة الجامعة العربية.

وعموما يمكن القول أن السياسة الأميريكية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانت تسعى إلى تدعيم الوجود الاقتصادى والاستثمارات النفطية بصفة خاصة بالاضافة إلى توثيق الروابط الثقافية مع محاولة زعزعة النفوذ البريطانى والفرنسى فى منطقة الشرق الأوسط. أما الموقف الثالث فكان ينطلق من الإدراك المتزايد فى السياسة الأميريكية نحو الشرق الأوسط بأهمية مكانة مصر بالنسبة لموقعها الاستراتيجى فى الشرق الأوسط ، وقد حددت ملامح هذا السياسة ، بأبعادها الثلاثة (١) مستقبل العلاقات المصرية الأميريكية وإتجاهات السياسة الأميريكية نحو مصر.

---

* سوف نتناول هذا بشىء من التفصيل من فصلين لاحقين.

(١) خيرية قاسمية : الولايات المتحدة والوطن العربى فى الفترة ما بين الحربين ، مرجع سابق ص٣٥ - ٣٧. وانظر ايضا : روءوف عباس امريكا والشرق العر ـ فى الحرب العالمية الثانية ، نفس المصدر ، ص ٣٧ - ٤٨.